

هذه العقدة لا يعني ، على الاطلاق ، الغاءها .  
نهي تظهر باشكال اخرى مناقضة للواقع في أغلب  
الايان . وهكذا تحول الشعور بالتواطؤ مع  
الرجعية الالمانية الى عقدة ذنب مكبوتة ، ظهرت  
على شكل حقد غريب على اليهود الرجعيين .

وتدخل عوامل اخرى في سياق هذا التحليل  
السيكولوجي . فماركس اذ عبر عن حقه على  
اليهود كان يعرف انه يخاطب جمهورا ثوريا  
« لاساميا » لا بل كان يسعى الى مخاطبة هذا  
الجمهور ، لياخذ منه « بطاقة مرور » الى عالم  
الثوريين الفرنسيين « اللاساميين » . فماركس لم  
يكن يعتقد بإمكانية التوفيق بين اليهودية والثورية  
وهذا هو مصدر حقه على اليهود ، وعلى اليهود  
الثوريين بشكل خاص : موزس هس مثلا . فهذا  
الاخر كان ثوريا وكان يفاخر بكونه يهوديا ، متبها  
الانتلجنسيا اليهودية بالجبن والهرب ، مما ولد  
ردة فعل عنيفة لدى ماركس ودفعه الى المزيد من  
الحقد على اليهود عامة ، وعلى هس هذا خاصة .

المدخل لمناقشة هذا التحليل النفسي لماركس هو  
قول مزاخي : « لا يمكن لعلم النفس ان يفسر  
عقيدة ما ، ولكن يمكنه ان يفسر موقفا انفعاليا ،  
عاطفيا كوقف ماركس من اليهود . اذا ، عملية  
فصل « المسألة اليهودية » عن التراث الماركسي  
مستمرة . وهي مرفوضة من قبل كافة الماركسيين  
مع ان العديدين بينهم يطرحون أسئلة حول أهمية  
هذا الاثر لماركس الشاب الخارج حديثا من اليسار  
الهيغلي . الا ان رفض اطروحة العزل المزارحية  
هذه لا يكفي . فالطلب هو دراسة جدية وعلمية  
توضح علاقة « المسألة اليهودية » كعمل من أعمال  
فترة الشباب ، مع مجمل النظرية الماركسية  
المتكونة في جدل عنيف مع الممارسة .

ونختتم عرضنا ومناقشتنا لكتاب مزارحي  
« ماركس والمسألة اليهودية » ، هذا الكتاب الذي  
اراده صاحبه كتابا سجاليا ، انقاعيا بدليل اسلوبه  
وطريقة عرضه ، بفقرتين تعبران عن وجهة النظر  
المزارحية في المسألة اليهودية .

جاء في الصفحة ٩٠ من الكتاب : « في القرن  
العشرين فقط ، ومع بوروخوف ، انتجت الحركة  
العمالية اليهودية ماركسية صهيونية ، ونظرية  
ماركسية لكل من المجتمع اليهودي وتاريخ

ويقف منهم جميعا موقفا عنصريا . ابا كيف  
يستخرج مزارحي من هذه العنصرية العامة ،  
عنصرية خاصة ( اللاسامية ) فأمر غير واضح ،  
لا بل مفبرك كليا .

وبالنسبة لبرودون ايضا ، « يكتشف » مزارحي  
الاصول الدينية للاسامية ، ويدخل معه في نقاش  
حاد حول التوراة وتقصصها ، معتقدا ، او محاولا  
دفعنا للاعتقاد ان المعركة تدور فعلا في هذا  
الميدان . ولا ينسى مزارحي ان يشير الى ان  
الاسامية ماركس هي أخطر من لاسامية برودون لانها  
« وحدت » بين اليهود والرأسمالية .

بعد كل ما تقدم ، يعود مزارحي لرفض وجود  
علاقة سببية بين المسيحية واللاسامية ، قائلا  
بأن اللاسامية هي ، في النهاية ، خيار شخصي  
مسؤول عنه صاحبه ( انها المقدمة الضرورية لادانة  
ماركس ) . ويقدم كمثال على ما يقول مفكرين  
اشتراكيين مسيحيين : تسطنطين بيكور Pecqueur  
واتيان كابيه Cabet ، فهذان يعرفان التوراة  
ويمتنعان عن مهاجمتها ومهاجمة اليهود ، لا بل  
يقدران تقديرا عاليا بعض المعاني الاشتراكية ،  
وحتى الشيوعية — الطوباوية بالطبع — للعناصر  
الرئيسية في المؤسسات السياسية والاجتماعية  
للعبرانيين .

يؤكد مزارحي ان اللاسامية خيار فردي كمقدمة  
للبرهنة على مسؤولية ماركس الشخصية ( هذا  
الكلام يتضمن تغييب الظروف الموضوعية التي تفرز  
تيارات لاسامية في ظروف محددة ) .

مسؤولية ماركس عن اختياره الشخصي للاسامية  
مصدرها نبط علاقاته مع والديه . فقد حدث  
لماركس تماه identification مع الاب المتحضر  
والمتحول عن اليهودية، واجتياف Interiorisation  
لصورة رديئة عن الام اليهودية المحافظة ( لقد  
تأخرت في امتناق البروتستانتية ، وكانت تردد  
دائبا : من الافضل لكارل ان يجمع رأسا عوض  
ان يتأمل حول الرأس ) . هذا التماهي مع الاب  
ولد لدى ماركس عقدة الذنب ، اذ ان والده ينتمي  
الى ذلك الجيل من اليهود المتحالف مع الحكومة  
الالمانية الرجعية ، والصامت عن « مجازر » ١٨١٩  
ضد اليهود . عقدة الذنب هذه مكبوتة بالطبع اذ  
ان التماهي مع الاب هو تماه « لاواع » ، كبت